نجيب محفوظ

رحلة إبداع

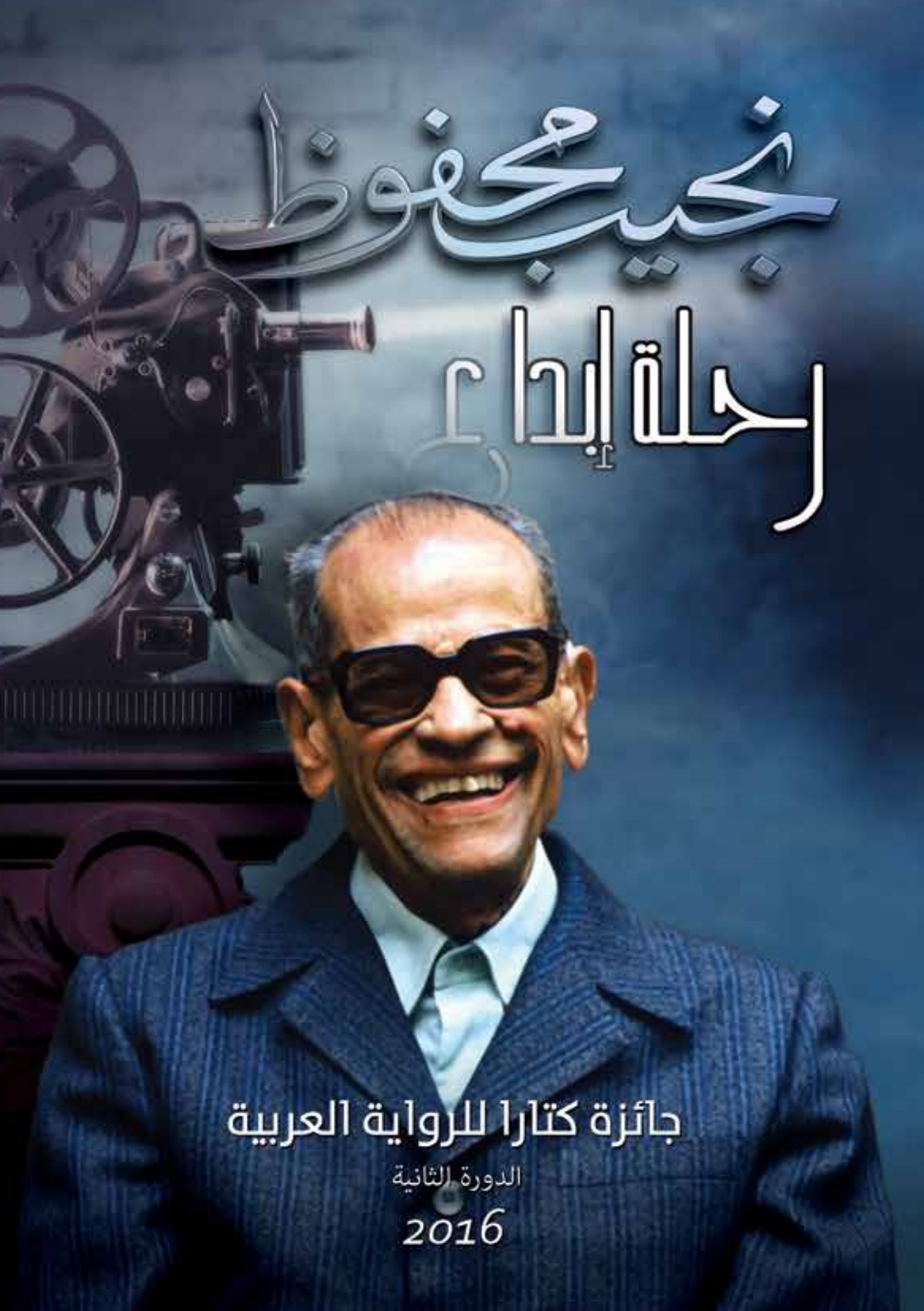

جائزة كتارا للرواية العربية

الدورة الثانية

2016

١٩١١

ولادة متعثرة
لأديب عالمي

مولد الأديب العالمي نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد الباشا، الذي وُلد في حي الجمالية بالقاهرة، كان نجيب محفوظ أصغر إخوته، ولأن الفرق بينه وبين أقرب إخوته سنًا إليه كان عشر سنواتٍ، فقد عومل كأنه طفلٌ وحيد.

لم يتم 8 أعوام حين قامت ثورة 1919 التي أثرت فيه وتذكرها فيما بعد في "بين القصرين" أول أجزاء ثلاثيته.

كتب نجيب محفوظ منذ بداية الأربعينيات واستمر حتى 2004، تدور أحداث جميع رواياته في مصر، وقد بدت الحارة قاسما مشتركا في جميع روايات نجيب محفوظ، حيث جعل منها عالما خاصا نسج منها أحداثا تواكب ما يحدث في العالم.

سُمي نجيب محفوظ باسمٍ مركب تقديرًا من والده عبد العزيز إبراهيم للطبيب المعروف نجيب باشا محفوظ، الذي أشرف على ولادته التي كانت متعسرة.

١٩٣٠

الانتقال

من واقع الحارة .. إلى فلسفة الجامعة

تاريخ التحاق نجيب محفوظ بجامعة القاهرة التي حصل منها على ليسانس الفلسفة، ثم شرع بعدها في إعداد رسالة الماجستير عن الجمال في الفلسفة الإسلامية، ثم غير رأيه وقرر التركيز على الأدب.. لكن رغم ذلك ظلت النظرة الفلسفية تبطن أعماله، وذلك بسبب الرؤية الشمولية والتفسير الفلسفي الذي اكتسبه من دراسة الفلسفة، حيث عمل على وضع تاريخ الإنسانية في بوتقة واحدة، مما سهل فهمها على حقيقتها وإدراك رموزها في سياقها الفني والجمالي، وهو ما يتطلب من القارئ حسًّا ووعيًا وثقافة>

يشير محفوظ نفسه إلى هذه الرؤية، قائلا: "ظننت أني سأدخل للفلسفة لأتخرج بعد 4 سنوات، أعرف: المصير، وحقيقة الوجود مثل "الطبيب" (يقهقه نجيب محفوظ بصوت عالٍ) ربما لم نخرج بهذا، لكن الفلسفة علمتنا أشياء كثيرة في سبيلنا، والله علمتنا كيف لا نتسرع بالحكم، ونتأمل الأشياء، وكيف نتسامح للدرجة التي لا تُخلّ، بأن لكل شيء أكثر من وجه، وكل موقف له خلفياته.

١٩٣٨

بداية رحلة
بين دواوين الحكومة

في هـذا العام، انضم نجيب محفوظ إلى السـلك الحكومي ليعمـل سـكرتيرًا برلمانيًـا في وزارة الأوقاف، ثـم عمل مديرًا لمؤسسـة القـرض الحسـن في الـوزارة حتـى 1954. وعمـل بعدهـا مديـرًا لمكتـب وزيـر الإرشـاد، ثـم انتقـل إلى وزارة الثقافـة مديـرًا للرقابـة عـلى المصنفـات الفنيـة. وفي 1960 عمـل مديـرًا عامًـا لمؤسسـة دعـم السـينما، ثـم مستشـارًا للمؤسسـة العامـة للسـينما والإذاعـة والتلفزيـون.

آخـر منصـبٍ حكومـي شـغله كان رئيـس مجلـس إدارة المؤسسـة العامة للسـينما (1966 - 1971)، ومثلما انسحب نجيـب محفـوظ مـن مجـال الدراسـات الأكاديمية، انسـحب كذلـك مـن العمـل الوظيفـي، الذي يبـدو أنـه كان يتعارض مـع أجـواء الإبـداع التـي صنعت منـه هذا الأديـب العالمي، حيـث كان عملـه الأدبي يتطلـب صفـاء ذهنيـا فضـلا عـن ضرورة الاحتـكاك بفئـات مختلفـة مـن النـاس كان يسـتقي منهـم أفـكارا نظمهـا داخـل أعمالـه الأدبية، لذلك اتسـمت كل أعمالـه بالواقعيـة.

١٩٣٩

تمازج الأسطورة والتاريخ

الإبداع "المحفوظي" الأول

باكورة إنتاج نجيب محفوظ الروائي، وتحتل موقعها كأولى رواياته التاريخية في تلك المرحلة الباكرة من إبداعه، اعتمد في كتابتها على الوسائل التقليدية للرواية، ومثلت رواية «عبث الأقدار» مع روايتي «رادوبيس» و»كفاح طيبة» المرحلة التاريخية في مسيرة محفوظ الروائية.

مزج محفوظ الأسطورة مع التاريخ في عمل فني مبهر، وألقى الضوء على العلاقات داخل الأسرة الفرعونية الحاكمة في عصر بناء هرم الفرعون خوفو.

وقد نشرها نجيب محفوظ، في «المجلة الجديدة» لصاحبها سلامة موسى، الأستاذ الأول لنجيب محفوظ وصاحب التأثير الكبير عليه في بداية حياته، كما حولت إلى مسلسل باسم «الأقدار».

١٩٤٣

رادوبيس

السياسة من أعماق التاريخ

يواصل نجيب محفوظ في هذه الرواية مجموعة من الكتابات عن هذه الحقبة من تاريخ مصر الفرعوني، حيث تميزت بأبعاد سياسية، عبر عنها محفوظ، كما ألقت الضوء على الواقع المصري المعاصر، إذ تطرقت لعلاقة الفرعون مع السلطة الدينية والزمنية وتفاعلاته مع العصيان الشعبي في سياق قصة علاقته الغرامية مع رادوبيس، وهي قصة تُحكى في كتب التاريخ القديمة، فقد ذكرها هيرودوت وإن كان قد نفى أنها بنت هرمًا كما شاع عنها في عصره. وتعد هذه الشخصية من أكثر شخصيات محفوظ النسائية قوة، وجمالا، وإدراكا لفكرة الحرية والتحرر. فتلك الغانية الفرعونية التي كانت فتنة متنقلة، ليس لما تمتلكه من آيات الجمال المثالية، والتي تقريبا لم تتكرر في أي عمل آخر لمحفوظ، ولكن أيضا لكونها تجمع إلى الجمال المعرفة، إذ كان قصرها، في جزيرة بيجة، مزارا ليس لرجال النفوذ وأصحاب رؤوس الأموال من التجارة فقط، بل كان موضعا لاجتماع الفلاسفة والفنانين والمفكرين أيضا.

١٩٤٤

كفاح طيبة

الكفاح في سبيل استرداد الحرية

تعد رواية كفاح طيبة من روائع نجيب محفوظ التاريخية، فقد نشرت للمرة الأولى سنة 1944، وهي الثالثة بين رواياته التاريخية بعد عبث الأقدار (1939)، ورادوبيس (1943) وتصور كفاح شعب مصر في سبيل استرداد حريته وطرد الغزاة الهكسوس من بلادهم، في إسقاط تاريخي للأحداث على كفاح الشعب المصري في أوائل القرن العشرين، للتحرر من الاحتلال البريطاني وتحقيق استقلاله، فقد أراد بذلك أن يقول إنه مثلما نجح الشعب المصري في تحقيق استقلاله في العصور الغابرة فإنه سينجح أيضا في العصر الحديث.

يمزج نجيب محفوظ في روايته قصة كفاح أهل طيبة، بقصة حب الملك أحمس، فالبطل أحمس رغم حصوله على النصر لم تغب عن ذهنه صورة تلك الأميرة القادمة من الصحراء (ابنة عدوه الهكسوسي)، والتي ظلت ملامحها محفورة في قلبه كأول يوم رآها فيه على ظهر السفينة الفرعونية، ومع ذلك يضحي بعاطفته في سبيل طيبة.

وقد برع محفوظ في تقديم الملاحم الإنسانية بكافة تفاصيلها، فكيف لا يبرع في تقديم ملاحم تاريخية تخص تاريخ بلده، فكانت هذه الرواية بمثابة صيحة حق، ومحاولة لإثارة الهمة لدى المصريين.

١٩٤٥

القاهرة الجديدة ..

التقاطع مع الواقع رغم مرارته

تدور أحداث الرواية في القاهرة المعاصرة - آنذاك - في الأربعينيات من القرن المنصرم، وهي تحكي قصة شاب مصري طموح غير مؤمن بشيء غير تحقيق نفسه وتحقيق اللذة.

تبدأ بسرد حياته وحياة زملائه وتمر عليه إذ يتخرج في الجامعة مفلسا، فيقع في يد أحد الموظفين الكبار في الوزارات الذي يهيئ له الزواج من صديقة شابة لأحد البكوات.

وتتغير حياة الشاب جذريا ليتجه بخطى سريعة إلى سلم المجد وفق تصوِره راضيا بوضعه والقرنين على رأسه ــ الذهبيين كما يصفهما دائما ــ وتتغير الأحداث لترشحه زوجته مع رئيسه أن يكونَ مديرا لمكتبه بعد أن أزاحت الحياة الوزير السابق، هناك ينكشف الأمر كله بزيارة من أبيه الفقير وزيارة زوجة الوزير لمنزل الصديقة لتنفجر الرواية معلنة انتهاءها بنقل البطل إلى أسوان وفضيحة تهز المجتمع المصري.

بالرواية كلها يبدو الفساد السياسي والخلقي المتفشي بين كبار الموظفين وصور محسوبية ورشوة ونفاق وانتهازية، ورذائل الأخلاق.

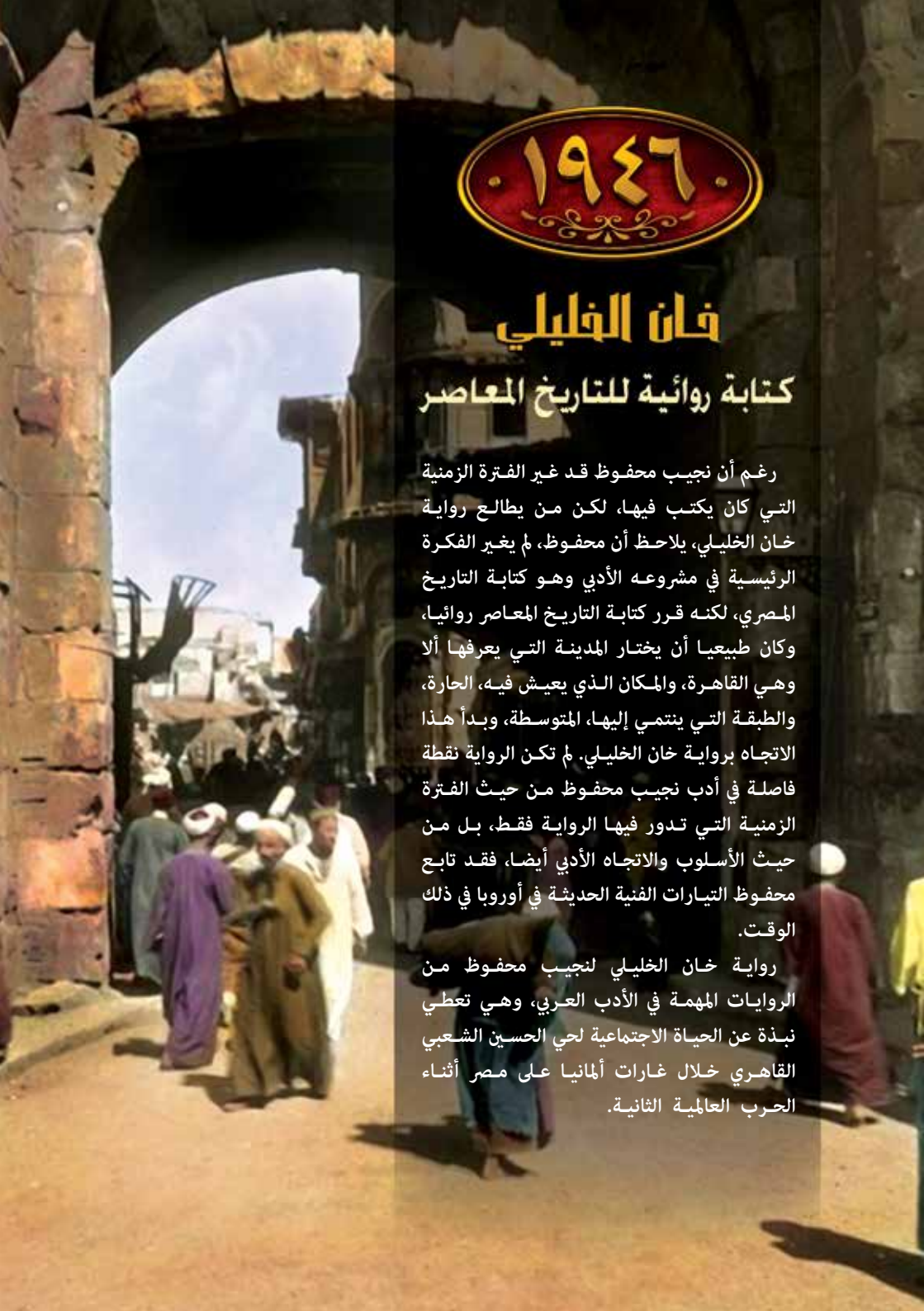

١٩٤٦

خان الخليلي

كتابة روائية للتاريخ المعاصر

رغم أن نجيب محفوظ قد غير الفترة الزمنية التي كان يكتب فيها، لكن من يطالع رواية خان الخليلي، يلاحظ أن محفوظ، لم يغير الفكرة الرئيسية في مشروعه الأدبي وهو كتابة التاريخ المصري، لكنه قرر كتابة التاريخ المعاصر روائيا، وكان طبيعيا أن يختار المدينة التي يعرفها ألا وهي القاهرة، والمكان الذي يعيش فيه، الحارة، والطبقة التي ينتمي إليها، المتوسطة، وبدأ هذا الاتجاه برواية خان الخليلي. لم تكن الرواية نقطة فاصلة في أدب نجيب محفوظ من حيث الفترة الزمنية التي تدور فيها الرواية فقط، بل من حيث الأسلوب والاتجاه الأدبي أيضا، فقد تابع محفوظ التيارات الفنية الحديثة في أوروبا في ذلك الوقت.

رواية خان الخليلي لنجيب محفوظ من الروايات المهمة في الأدب العربي، وهي تعطي نبذة عن الحياة الاجتماعية لحي الحسين الشعبي القاهري خلال غارات ألمانيا على مصر أثناء الحرب العالمية الثانية.

١٩٤٧

زقاق المدقّ ..

صورة الواقع بكل تفاصيله

زقاق المدق هو جزء من مكان موجود في إحدى محافظات مصر، استهلّ به نجيب محفوظ روايته وصفا ونقلا للصورة كما هي، فنجده قد وصف الزقاق ببيوته، وطبيعة الناس الذين يعيشون فيه، ومحلاته كافة.

بطلة القصة شابة في ريعان شبابها تدعى حميدة، ترعرعت وكبرت على يد صاحبة أمها التي تكفّلت بها، أيقنت هذه الشابة أنها وقعت في الدائرة المظلمة من الحياة، فهذا الزقاق الذي تعيش فيه، شبت حميدة ناقمة على الزقاق وعلى حياتها؛ لأنها ترى أن فتاة مثلها مكانها في السرايا والقصور.

وجدت حميدة مخرجها من هذه الحياة، التي كرهت من خلال عباس الحلو، وشباب من خيرة شباب الزقاق، أغرَتهُ بجمالها، وسكنت هواه، استغلت عذوبتها ورقّتها لتنشل قلبه.

فقد رأت في هذا الشاب البسيط ملاذًا لها، ومسكنًا تلجأ إليه بقيّة عمرها.

لكن حميدة لم تقتنع بمحاولة الشاب، وما زالت هكذا، حتى نالت ما اشتهت من مال بعد أن باعت نفسها وهجرت حياة كريمة ندمت فيما بعد على ضياعها.

١٩٤٨

السراب

الغوص في أعماق النفس البشرية

قال عنها نجيب محفوظ إنها رواية نفسية تربوية، فهي نوع نادر في كتاباته، فالبطل يعاني من مشاكل نفسية نتيجة تعلق الأم به بشكل مبالغ فيه.

يسرد البطل من خلال الرواية ذكرياته منذ الطفولة، وبالتالي فإن عملية السرد من منظوره هو، فيرجع بذاكرته إلى طفولته الأولى حيث وجد نفسه هو وأمه المطلقة في بيت جده لأمه.

وقد كان يحظى بالكثير من العناية والرعاية من قبل أمه التي كانت تفرط في تدليله حتى نشأ خجولا ومعزولا عن الآخرين بشكل لافت للنظر.

يعيش البطل مجموعة من الأحداث المتتالية التي يتعرض فيها لكثير من المحن، التي ترتبط جميعها بالمشاكل النفسية المترسبة في أعماقه، والتي بسببها تعرض في حياته لكثير من الإخفاقات.

١٩٤٩

بداية ونهاية..

عندما تلتقي التفاعلات الاجتماعية مع الواقع

تدور الرواية في إطار اجتماعي، وتتناول حياة أسرة مصرية فقيرة، يحاول أولادها تحقيق طموحاتهم رغم ظروفهم الاجتماعية القاسية.

وتعتبر من أنضج روايات تلك المرحلة التاريخية، فقد اهتم نجيب محفوظ فيها بتصوير تفاعل العلاقات الاجتماعية من جانب، وتصوير الواقع الحضاري للمجتمع من جانب آخر، هذا إضافة إلى البحث في التكوين الذاتي لنفسية الفرد وعلاقته بهذا المجتمع.

"البداية" هي موت الأب، و"النهاية" هي تفسخ الأسرة وانهيارها، لتتخذ هذه المأساة ذلك الشكل التراجيدي القاتم، لكونها أصابت تلك الأسرة النموذج، والتي تنتمي للشريحة القابعة في قاع الطبقة المتوسطة أو الفقيرة، والتي تعاني من التكوين الهش والكيان الاجتماعي الممزق، وتلك القيود والتقاليد التي تتصادم بشدة مع واقعها.

زواج لم يرَ النور ١٠ سنوات

شهد هذا العام زواج نجيب محفوظ، الذي تزامن مع فترة توقفه عن الكتابة بعد ثورة 1952 من السيدة عطية الله إبراهيم، وأخفى خبر زواجه عمن حوله لعشر سنوات، متعللًا عن عدم زواجه بانشغاله برعاية أمه وأخته الأرملة وأطفالها.

في تلك الفترة كان دخله قد ازداد من عمله في كتابة سيناريوهات الأفلام وأصبح لديه من المال ما يكفي لتأسيس عائلة.

ولم يُعرف شيء عن زواجه إلا بعد عشر سنواتٍ من حدوثه عندما تشاجرت إحدى ابنتيه أم كلثوم وفاطمة مع زميلة لها في المدرسة، فعرف الشاعر صلاح جاهين بالأمر من والد الطالبة، وانتشر الخبر بين المعارف.

وفي هذه الفترة بدأ محفوظ كتابة عدد من السيناريوهات للسينما، التي لم تكن هذه السيناريوهات أقل أهمية ولا أقل قيمة من الروايات التي كتبها، حيث أثرت أعمال محفوظ السينما وحققت الكثير من النجاحات.

١٩٥٦

بين القصرين

الجزء الأول من ثلاثية القاهرة

تعد رواية بين القصرين، هي الجزء الأول من (ثلاثية القاهرة)، التي تشتمل على روايات "بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية".

عنوان الرواية اسم لأحد شوارع القاهرة الشعبية القديمة، تجري أحداثها عشية ثورة 1919 المصرية، تروي قصة حياة أسرة منتمية إلى طبقة برجوازية تجارية صغرى، متمسكة بالعادات والتقاليد، وشخصيتها المركزية الأب (السيد أحمد عبد الجواد) المستبد الأناني الصارم تجاه أسرته المكونة من زوجته وخمسة أبناء، كلهم يخضعون له دون معارضة.

فصول طويلة تتحدث عن الحياة اليومية لتلك الأسرة وشخصياتها، حيث تتناول الرواية أبناء السيد أحمد عبد الجواد ولكل منهم توجهاته المختلفة وميوله المتباينة، لكن هذا التباين عادة ما يتلاشى أو يذوب أمام صرامة وجبروت وعنفوان الأب.

أما الزوجة أمينة رهينة المحبسين الدار والزوج، فهي لا تعرف من القاهرة شيئا حتى متجر زوجها الذي تعتبره سيدها.

١٩٥٧

قصر الشوق

مرحلة ما بعد الصدمة

هي الجزء الثاني من ثلاثية نجيب محفوظ، أبطالها: السيد أحمد عبد الجواد: تاجر في منتصف العقد الخامس من العمر، له خمسة أبناء أكبرهم من زواج سابق، وأوسطهم استشهد في أحداث ثورة عام 1919، وكان هذا الابن من الشخصيات الرئيسية في الجزء الأول (بين القصرين). والسيد أحمد صاحب شخصيتين، ففي البيت هو الزوج والأب الصارم، صاحب الهيبة والنفوذ، والمحافظ على أداء الصلوات.. ومع أصدقائه هو الصديق المرح، الذي يسهر كل ليلة مع أصدقائه الثلاثة، مع المغنيات والعود والطرب. وإن كان قد ترك هذه العادة خمس سنوات حزنا على فقد ابنه، فإن أصدقاءه شجعوه على العودة إليها فاستجاب لهم.

١٩٥٧

السكرية

نجيب محفوظ عندما يعاقب القارئ

وكأن نجيب محفوظ يعاقب قارئه على إصراره على القراءة له، وكأنه يقول له: ألا أيها القارئ أني أستطيع إسعادك وحزنك. وأن في استطاعتي أن أضحكك وأبكيك. وأن للقلم سلطانه في "السكرية"، الجزء الثالث من (ثلاثية القاهرة)، تتواصل الضربات القدرية على أسرة السيد أحمد عبد الجواد.

هذا الجزء هو - بامتياز - الأكثر شحنًا للعواطف، فمرور الزمن هو الأمر الوحيد الذي نقف أمامه عاجزين عن فعل أي شيء مهما تقدم بنا العلم وارتقت عقولنا.

الأمر الأكثر إيلامًا لدرجة الجنون هو أن تراقب دورة الحياة إذ تقترب من نهايتها، وترى أحبة ملأوا الأرض والحياة يذوبون شيئًا فشيئا قبل أن يذوبوا في المجهول الذي يذوب الجميع فيه.

مشكلة إنسانية ولحظات قاسية نخاف منها جميعًا وسر قسوتها هو يقيننا التام أنها آتية ولا ريب.

قصة اللص والكلاب مأخوذة أصلا من حادثة واقعية حصلت في مدينة الإسكندرية استلهم منها نجيب محفوظ روايته هذه. تدور أحداث القصة حول البطل الرئيسي للرواية سعيد مهران الذي يدخل السجن بفعل وشاية يقوم بها رجل اسمه عليش الذي يتزوج من زوجة سعيد بعد تطليقها منه.

يخرج سعيد مهران من السجن، فيجد العالم قد تغير والقناعات قد تبدلت، ويفاجأ أيضًا بتنكر ابنته الصغيرة له لأنها لا تعرفه، ثم يلجأ إلى صديقه الصحفي القديم رؤوف علوان الذي بدل جميع ولاءاته وشعاراته، فلم يظفر بغير النفور والإعراض وتأليب رجال الأمن عليه فيصطدم بهذا الواقع الأليم.

ثم يتوجه كحل أخير للشيخ الجندي في صومعته ملتمسا أن ينشله من هذا المستنقع ولكن يفشل أيضا في الوصول إلى حل، فيقرر الانتقام من الخونة واسترداد سنوات عمره الضائع.

صور نجيب محفوظ في روايته "السمان والخريف" الواقع تصويرا أمينا وخلق من بطل الرواية شخصية حية تحيا حياة كاملة تجيش بالعواطف والرغبات، ظلت تتعايش مع عقود من أزمنتنا منذ صدور الرواية.

تكمن قدرة الإبداع في استجلاب واختيار النموذج إلى فضاء الإبداع في الأدب الروائي عند نجيب محفوظ، نموذج بسمات إنسانية عميقة التداخل والتناقض انعكست عليها ظروف ما بعد ثورة 23 يوليو 1952، لتتجاوز ظرفيه زمانا ومكانا. فـ "عيسى" نموذج لشريحة تشعر بأنها زائلة، بلا انتماء ومأزومة العيش بفضاء يتضاءل شيئا فشيئًا، مع تلازم الإحساس بالألم نتيجة للإحساس بالذنب جراء ما ارتكبت من خطايا بحق مواطنين.

١٩٦٢

أولاد حارتنا

جدل لم يتوقف بعد

تُعد رواية أولاد حارتنا إحدى أشهر روايات نجيب محفوظ، وكانت إحدى المؤلفات التي تم التنويه بها عند منحه جائزة نوبل 1988، فقد أثارت الرواية جدلا واسعا منذ نشرها لأول مرة.

ظلت الرواية حبيسة ومحجوبة عن الظهور منذ نشرها لأول مرة عام 1959، فكانت أولاد حارتنا أول رواية كتبها محفوظ بعد ثورة يوليو، التي رأى بعدها أن التغيير الذي كان يسعى إليه من خلال كتاباته قد تحقق فقرر أن يتوقف عن الكتابة الأدبية، وعمل كاتب سيناريو فكتب عدة نصوص للسينما، لكن بعد انقطاع دام 5 سنوات قرر العودة للكتابة الروائية بعد أن رأى أن الثورة انحرفت عن مسارها فكتب أولاد حارتنا التي انتهج فيها أسلوبا رمزيا يختلف عن أسلوبه الواقعي، فهي كما قال عنها محفوظ، لم تناقش مشكلة اجتماعية واضحة، كما اعتاد في أعماله قبلها، بل هي أقرب إلى النظرة الكونية الإنسانية العامة.

ولكن لا تخلو هذه الرواية من خلفية اجتماعية، فرغم أنها تستوحى من قصص الأنبياء إلا أن هدفها ليس سرد حياة الأنبياء في قالب روائي بل الاستفادة من قصصهم لتصوير توق المجتمع الإنساني للقيم التي سعى الأنبياء لتحقيقها كالعدل والحق والسعادة وتلك هي، فالرواية نقد مبطن لبعض ممارسات ثورة 1952 وتذكير لقادتها بغاية الثورة الأساسية.

١٩٦٤

الطريق

رحلة البحث عن السعادة

قصة اجتماعية، تصور حياة صابر بعد وفاة أمه ومهمته في البحث عن والده، وكيف انجرت عنها مشاكل عديدة أودت به إلى الهاوية والحكم عليه بالإعدام.

وكلمة الطريق تعني الطريق أو الاتجاه الذي سلكته الشخصية الرئيسية، ولكنه لا يزال مبهما فهو لم يقل إن كانت الطريق آمنة أم محفوفة بالمخاطر وهذا ما سنعرفه في القصة.

تغوص الرواية في رحلة البحث عن السعادة والسلام والطمأنينة والرفاهية، يسلكها (صابر) مبتدئا بالإسكندرية التي لم تسعفه طرقها في العثور على مبتغاه فيقرر البحث في القاهرة.

يركّز محفوظ في هذه الرواية على اللغة وينوّع في الأساليب ويشوّق قارئه، وهو يمسك بيده وفكره وعاطفته وكأنه يقول له: هيا بنا نبحث عن مصيرنا البشري، أو السياسي، أو الديني، والاعتقادي، أو حتى هذه المصائر جميعها معا، حيث امتاز أدب نجيب محفوظ بالعمق في المضمون وفي تناول قضايا فلسفية باحثة عن حقيقة الوجود، وحقيقة التغيرات الاجتماعية والسياسية.

١٩٦٥

الشحاذ

التعبير عن شعرية الوجود والحياة

تكمن أهمية رواية الشحاذ في أنها تعدّ أنموذجا بليغا لهذه المرحلة من تجربة نجيب محفوظ الفنية، فمع هذه الرواية اكتملت ملامح البطل الروائي الإشكالي في علاقته بالعالم والزمان والمكان مستدعيا تبعا لذلك نمطا مختلفا لسارد استبدل عينا بأخرى وموقعا بآخر وخطابا بآخر مخالف.

وتسعى الّواية إلى الخروج عن أن تكون تعبيرا عن الحياة اليوميّة وترغب في التّعبير عن شعرية الوجود والحياة، فيها إجلال للشعر، والفنّ فيها يختزل في صورته الشعريّة وأحيانا كثيرة يتحول أسلوب الكتابة إلى أسلوب شعري، ولعل أنصع مثال على ذلك تلك اللازمة التي تتكرر في الرواية "وكيف أفكر فيك طيلة يقظتي ثم تعبث بمنامي الأهواء" والرواية تتحرر من الشوائب ومن تلك الحكايات الثانوية والأساليب المتنوعة التي تدعم في حقيقة الأمر جنس الرواية إذا ما اعتبرنا جنس الرواية جنسا تأليفيا جامعا لمستويات عديدة وأجناس أدبية مختلفة ولغات اجتماعية متنوعة، إنها مرحلة انحلال الشّكل الروائي.

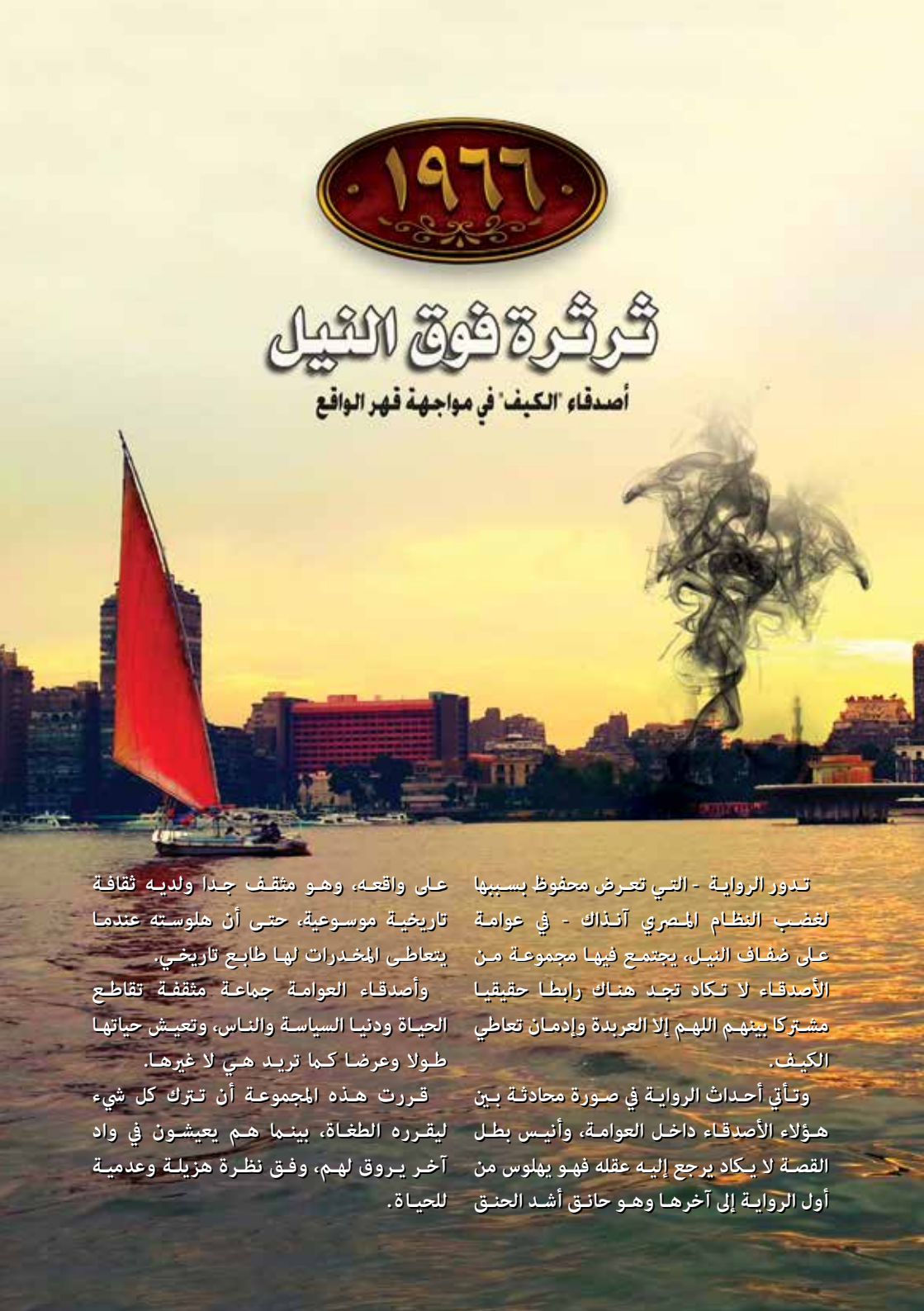

١٩٦٦

ثرثرة فوق النيل

أصدقاء "الكيف" في مواجهة قهر الواقع

تدور الرواية - التي تعرض محفوظ بسببها لغضب النظام المصري آنذاك - في عوامة على ضفاف النيل، يجتمع فيها مجموعة من الأصدقاء لا تكاد تجد هناك رابطا حقيقيا مشتركا بينهم اللهم إلا العربدة وإدمان تعاطي الكيف.

وتأتي أحداث الرواية في صورة محادثة بين هؤلاء الأصدقاء داخل العوامة، وأنيس بطل القصة لا يكاد يرجع إليه عقله فهو يهلوس من أول الرواية إلى آخرها وهو حانق أشد الحنق على واقعه، وهو مثقف جدا ولديه ثقافة تاريخية موسوعية، حتى أن هلوسته عندما يتعاطى المخدرات لها طابع تاريخي.

وأصدقاء العوامة جماعة مثقفة تقاطع الحياة ودنيا السياسة والناس، وتعيش حياتها طولا وعرضا كما تريد هي لا غيرها.

قررت هذه المجموعة أن تترك كل شيء ليقرره الطغاة، بينما هم يعيشون في واد آخر يروق لهم، وفق نظرة هزيلة وعدمية للحياة.

١٩٦٧

ميرامار

عندما تتنافر خيوط النسيج الاجتماعي

في بنسيون ميرامار بجوار محطة الرمل بالإسكندرية - وفي ستينيات القرن الماضي بكل صراعاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية - تلتقي مجموعة من الشخصيات المتنافرة المتصارعة، حيث تقوم القصة في ميرامار على أساس حدث رئيسي واحد هو الثورة الاشتراكية في مصر، وكيف ينظر مجموعة من الشخصيات التي تمثل أنماطًا مختلفة من النسيج الاجتماعي المصري إلى هذا الحدث الخطير.

حقق محفوظ من خلال الرواية الرؤية التي نادى بها "هنري جيمس" والتي يختفي فيها المؤلف، فتحكي القصة نفسها بنفسها عن طريق تقديم الحدث على شكل ممسرح، فالرواية في "ميرامار" تقدم لنا عبر وعي رواة ـ شخصيات عن طريق الحوار والمونولوج الداخلي وتيار الوعي، فتتحرك الأحداث أمامنا حية نابضة.

وتبقى الرواية على العموم عبارة عن مشاهد متلاحقة مترابطة فيما بينها، مشكلة بناء سردي محكم. وهذا البناء هو أقرب إلى المونتاج السينمائي بحيث جاءت الرواية في معظمها مكتوبة بطريقة السيناريو يتم الانتقال فيها من مشهد إلى آخر ومن زمن إلى آخر بواسطة علامات فاصلة، لا بواسطة تقنية الحذف السردية التي لا تستعمل إلا نادرًا.

١٩٧٢

المرايا

تراجم لشخصيات في الواقع

يرى كثير من النقاد أن "المرايا" هي أقرب الأعمال الأدبية التي تضم تراجم لشخصيات حقيقية قابلها وعرفها نجيب محفوظ.

ومن الشخصيات التي يكاد النقاد يجمعون على أنها تشير إلى المفكر والكاتب الإسلامي سيد قطب شخصية عبدالوهاب إسماعيل، الذي صورته الرواية على أنه ناقد أدبي متحرر ينتقل إلى التطرف ثم ينضم إلى جماعة الإخوان المسلمين ورأت أنه يحمل أفكارا رجعية فيما يخص المرأة والحضارة الغربية.

وجسدت الرواية عبدالوهاب إسماعيل على أنه يرى أن القرآن الكريم يجب أن يحل محل جميع القوانين والدساتير، وأن تمحو الرابطة الدينية كافة الروابط من قومية ووطنية وعربية.

١٩٧٣

الحب تحت المطر

أجواء ما بعد الهزيمة

أبدع الراحل نجيب محفوظ في روايته الحب تحت المطر، التي أعطت ملامح الحياة في ظل الحرب والفقر من خلال الأحداث التي حيكت ببراعة قصصية والشخصيات التي عكست العمق في شدة بساطة الإنسان.

وقد جسد محفوظ ملامح الحياة في مثل هذه الظروف بالغة الصعوبة، ببراعة قصصية شديدة ومن خلال شخصيات عكست العمق في شدة بساطة الإنسان.

الفترة التي أرخت فيها المجموعة كانت فترة حرجة ضاغطة اتسمت بالترقب وتضميد الجراح بعد الهزيمة النكراء، فكان الجو المهيمن على الرواية هو الإحباطات المكثفة والضياع والتدمير الذي كان يعيشه المجتمع حينها، بكل خجل وآسف.

في هذه الرواية "الحب تحت المطر" تجد نفسك تعيش في أحداثها، تشهد حب مرزوق وفتنة تحت المطر، وكعادة نجيب محفوظ يتحدث بعمق عن الإنسان في كل أحواله، في غضبه وأناته، في ألمه وأمله.

١٩٧٤

الكرنك .. الرمز السياسي بمدلول عراقة المكان

الرواية ترمي بشكل أساسي إلى حكي جانب من معاناة وآلام هؤلاء الذين آمنوا بثورة يوليو لتفترسهم آلتها الديكتاتورية لاحقًا قبل النكسة بعامين أو أقل، وحتى بعد النكسة بمدة مشابهة.

عرض محفوظ في الرواية الكثير من وجهات النظر الشائعة والسائدة في مرحلتي ما قبل النكسة وما بعدها بنوع من الحيادية، وإن بدا جليًّا كونه خصمًا للثورة فيما وضع من معاناة في حكايات أبطال القصة جميعًا، ولم يحاول الدفاع عنها إلا من جانب إنساني بحت لا من جانب سياسي، وجعل الطرف الوحيد المدافع هو من كان مستفيدًا من جبروت النظام.

غير أنه يبدو أن محفوظ قرر تغليب حسه الأدبي فقط، فجعل رأيه في تلك المرحلة عملًا أدبيًا قصيرًا اسمه "الكرنك".

والرواية جيدة جدًا كعادة محفوظ، مستعينا بالأسلوب الكلاسيكي في الرواية، كما عمد إلى الرمز للوسط السياسي في تلك الفترة الزمنية بـ"الكرنك"، رامزًا ربما لعراقة مصر أرضًا، واتساعها للكل، ووجودها هي هي مهما تغيّر الشخوص.

حكايات حارتنا

اختراق لخصوصية المعالم والأحداث

١٩٧٥

"حكايات حارتنا" تقرب القارئ من الحارة بما يحيطها دائمًا وأبدًا من هالة الخصوصية التي كثيرًا ما تهفو النفس إلى اختراقها للوقوف على أسرارها.

في هذه الرواية يخترق نجيب محفوظ خصوصياتها ويغدو فردًا من أفرادها، يعايش الشخصيات ويتفاعل معها، ويتعرف على "أم عبده" أشهر امرأة في الحارة التي هي في قوة كبيرة، وعلى "إحسان" صورة أمها المصغرة، وعلى "صبري" ابن العم المهذب ذكي العينين، و"سلومة" أول شهيد من أبناء الحارة الذين يخبئ كل منهم قصة وراء بيوتها.

ويمضي نجيب محفوظ بالقارئ إلى الساحة مع صبيان الحارة إلى بيت القيرواني وإلى الكتّاب، وإلى غيرهما من المعالم والأحداث التي تزخر بها الرواية، ليطوف خياله في أرجاء تلك الحارة، يمتع النفس والعين بمرأى صور قصصها التي تنساب سلسة على شاشة صفحات نجيب محفوظ.

١٩٧٥

قلب الليل

رحلة تقديس العقل والحرية

يريد نجيب محفوظ من خلال هذه الرواية تجسيد بعض الأفكار، مثل تقديس العقل والحرية التي يريد أن يوصلها لنا من خلال الحياة والمواقف التي عاشها البطل.

تبدأ الرواية عندما يذهب "جعفر سيد الراوي" -وهو بطل القصة- إلى دائرة الأوقاف للمطالبة بأملاك جده، لكن الموظف في الأوقاف -والذي يعرف الرجل- شرح له أنه من غير الممكن الحصول على الإرث بعدما أوقف الجد جميع ثروته.

ينطلق جعفر من قص حكاية حياته، وكيف كان الجد المحافظ والوقور والهادئ يفرض معيشة معينة على "جعفر" رغم ترفها ورغدها، إلا أن "جعفر" اتجه إلى الحرية وتجربة شيء جديد، فهجر جده وتزوج من إحدى القرويات، لكن زواجه منها لم يدم كثيرًا، فقد طلقها ومضى وحيدًا نحو المجهول.

ثم عمل مع صديق له في فرقة للمدح، إلا أنه تزوج سيدة غنية وأنجب منها وصار ذا قيمة في المجتمع، لكن في لحظة غضب اختلف مع صديق له وتشاجرا حتى أرداه قتيلًا.

دخل السجن ومات جده بعد ذلك بعام وماتت بعده زوجته، وعندما خرج من السجن وجد أن كل شيء قد تغير، فعاد إلى قصر جده فوجده خرابًا، ومنذ ذلك الوقت وهو يسكنه ويعيش على هامش الحياة بعد أن صال وجال فيها.

١٩٧٥

حضرة المحترم ..

عين على الموظفين في دواوين الحكومة

تعد هذه الرواية أيقونة من أيقونات نجيب محفوظ الأدبية، حيث يذهب فيها إلى الأجواء الشعبية، ولكن هذه المرة بعيدا عن جو الفتوات وأبطال الأزقة والحواري. فيتجه إلى الدواوين الحكومية والحياة الوظيفية ويبدأ المشوار من أوله، بداية من حصول الموظف العام على وظيفته من الدرجة الثامنة حتى وصوله إلى وظيفة المدير العام، مسلطًا الضوء على حياة هذا الموظف وطموحه الزائد ونظرته للحياة من منظار الترقية والدرجة واهتمامه بالحافز والكادر والعلاوة.

و"حضرة المحترم" رواية صغيرة، بطلها شخص ممل، موظف حكومي، يؤمن بأن الحياة يمكن تلخيصها في كلمتين: استقبال ثم توديع. فهو قادم من بيئة فقيرة للغاية وأكمل تعليمه بمعجزة وأصبح موظفًا في ديوان الحكومة، فتمضي أيامه رتيبة وهو يحاول الوصول إلى أعلى منصب يمكنه الوصول إليه في هذا النظام، فهو لا يتابع السياسة ولا يهتم بالحراك الوطني في تلك الفترة التي يؤرخ لها محفوظ في هذه الرواية، بل يهتم بالدرجة الوظيفية التي يشغلها فحسب، والتي يتطلع إلى إشغال التالية لها، ويؤمن إيمانًا تامًا بالله رغم أخطائه الشنيعة.

١٩٧٧

ملحمة الحرافيش

فلسفة الحكم .. وتعاقب الحكام ودور الشعوب

مرة أخرى يعود بنا نجيب محفوظ إلى تلك الأجواء التي أحبها (أجواء الفتوة والشجاعة والنبوت)، ولكن من خلال ملحمة صنفها البعض على أنها أبدع ما كتبه محفوظ.

الرواية تحكي عشر قصص لأجيال عائلة سكنت حارة مصرية غير محددة الزمان أو المكان بدقة (يعتقد أنها بالحسين في بداية فترة الأسرة العلوية بمصر).

كانت "الحرافيش" مادة رائعة للسينما والتلفزيون المصري، حيث مُثلت في أكثر من فيلم سينمائي، منها: "الحرافيش"، و"المطارد"، و"شهد الملكة"، و"الجوع"، و"التوت والنبوت"، إلى جانب مسلسل "الحرافيش" بأجزائه الثلاثة.

وتتحدث الرواية عن فلسفة الحكم وتعاقب الحكام ودور الشعوب، كما لم تبتعد رواية "الحرافيش" كثيرًا عن منحى الوجودية الذي انتحاه نجيب محفوظ في الكثير من رواياته رغم اكتسائها بالطابع الاجتماعي.

تتشعب أحداث وشخصيات رواية "الحرافيش" في ذهن القارئ كما في قلم الكاتب، لتزرع أفكارًا عديدة وتصب في فكرة تواتر الأجيال وضياع الأصول من جيل إلى آخر واندساس العروق.

وهي رواية تحتوي كل الحياة، وتكتسي كل الطوابع، وتسرد جل القيم بسخاء.

١٩٨٠

عصر الحب

التضحية والصبر والخيانة

تدور الرواية حول خمس شخصيات رئيسية: "السّت عين" السيدة الجليلة، وهي التي بدأ سرد الرواية بها، وابنها المدلّل "عزّت"، و"سيدة" بنت أم سيدة الخاطبة و"حمدون" صديق "عزّت" في الكُتّاب منذ الطفولة، و"بدرية" التي أحبّها، وللأسف تزوجها "حمدون" صديقه من غير علمه، بينما تزوج هو المسكينة ابنة الخاطبة من غير حب لها. ومن أول لحظة أدركت "سيدة" أنها لا تحظى بحب زوجها أو حتى برضاه، وأنها تتجرع حياة باردة لا عطف فيها ولا احترام. وبدافع من غريزة الدفاع عن النفس قررت أن ترجع إلى بيتها متحلية بالصبر، وما أن صبرت "سيدة" حتى حملت وأنجبت "سمير". وتظل علاقته بـ"سيدة" باردة في مشاعرها خشنة في معاملتها. حتى هجر الحارة والتقى بصديقه "حمدون" وزوجته "بدرية" التي أحبها. ودارت الأحداث فطلق زوجته وكبر ابنه والتحق بكلية الهندسة. أما صديقه "حمدون" فقد سُجن بتهمة سياسية وسلّم نفسه، وتبين في آخر المطاف أن "عزّت" قام بالإبلاغ عنه قبل تسليم نفسه كي يحظى بحبيبته ويتزوجها ولكنها رفضت هذا الزواج.

١٩٨١

أفــراح القــبة

الواقعية تحمل في طياتها الرمزية

تعد هذه الرواية من الروايات الاجتماعية الفلسفية التي تحمل الرمزية في طياتها، وقد أثارت بعض الجدل حولها، حيث تتناول قصة بحث "صابر" عن أبيه بعد وفاة أمه، ويبدأ في رحلة البحث التي لا يعلم فيها إن كان أبوه موجودا أم لا، وتدور الأحداث وينشغل "صابر" في حياته وينتهي به الحال إلى القتل، ويحكم عليه بالإعدام ويموت.

وقد ربط البعض بين هذه الأحداث وبين رحلة الإنسان في الحياة بالبحث الدائم عن الله المنقذ من الشقاء، مثلما فعل "صابر" الذي كان يبحث عن أبيه ليهبه الكرامة والسلام، ثم ينشغل الإنسان عن ذلك الطريق ويتوه في حياته، ومن ثم يضل عن طريق الله، وينتهي به الحال إلى الموت دون أن يحقق هدفه المنشود.

وهي رواية واقعية من روايات محفوظ استعمل فيها أسلوبا جديدا وشائقا؛ إذ قسم الرواية إلى فصول تحمل أسماء الشخصيات الرئيسية، حيث تتولى كل شخصية التعريف بنفسها بصورة غير مباشرة، وسرد الأحداث من وجهة نظر إنسانية بكل ما فيها من أنانية.

١٩٨٢

ليالي ألف ليلة وليلة

التاريخ في عبق عجائب الفانتازيا

تأتي رواية "ليالي ألف ليلة وليلة" ضمن النصوص السردية العربية التي تشكلت في إطار علاقة تفاعلية بينها وبين التراث السردي العربي القديم الماثل في حكايات "ألف ليلة وليلة"، وقد برزت هذه العلاقة من خلال اعتماد نص "ألف ليلة وليلة" الأصلي قاعدةً بُنيت عليها مادة الرواية، وأحداثها وأفكارها وحتى شخصياتها بمسمياتها وبنائها الإنساني والوظيفي داخل المتن الحكائي، وكذا تقديم نص يحمل هموم الزمن الجديد الذي ظهر فيه.

وعادة محفوظ الحَذِرة عند تناوله وضعا معقدا ما أن يتناوله بالرمزية الشديدة التي تفتح له باب الهروب إذا حمي وطيس المعركة عليه، لكنه استطاع من خلال هذه الرواية أن يحول سطور عطر عجائب الفانتازيا مسكا عربيا تشتم رائحة التاريخ كله فيها، ثم تتهادى على موسيقى إيقاعها الذي لا مثيل له.

١٩٨٢

الباقي من الزمن ساعة

رائحة حلوان الثلاثينات

قصة ملحمية من ملحميات نجيب محفوظ تتناول حياة "حامد برهان" وزوجته "سنية المهدي"، وأيقونة رائعة الجمال عن حلوان الثلاثينات فيما يعد خروجا غير معتاد لنجيب محفوظ عن مسرح معظم رواياته المفضل وهو العباسية.

يتناول محفوظ في تلك الرواية عصور مصر السياسية المختلفة من وجهات نظر أبطاله المتباينة منذ الانصهار في الوفدية (حزب الوفد المصري، حزب الأغلبية قبل 1952) والثورة على الملكية مرورا بالناصرية والاشتراكية، ثم النكسة والانكسار.

اهتم نجيب محفوظ في هذه الرواية بإظهار التغيرات الاجتماعية التي تحدث لأسرة مصرية عادية ويظهر ما مروا به من أزمات حتى وجود أحفادهم، وبرغم أن الظاهر في الرواية هو التغيرات الاجتماعية والمادية، فإن ما يدور خلف هذا الوصف هو الأحداث السياسية التي تسببت في هذه الأحداث.

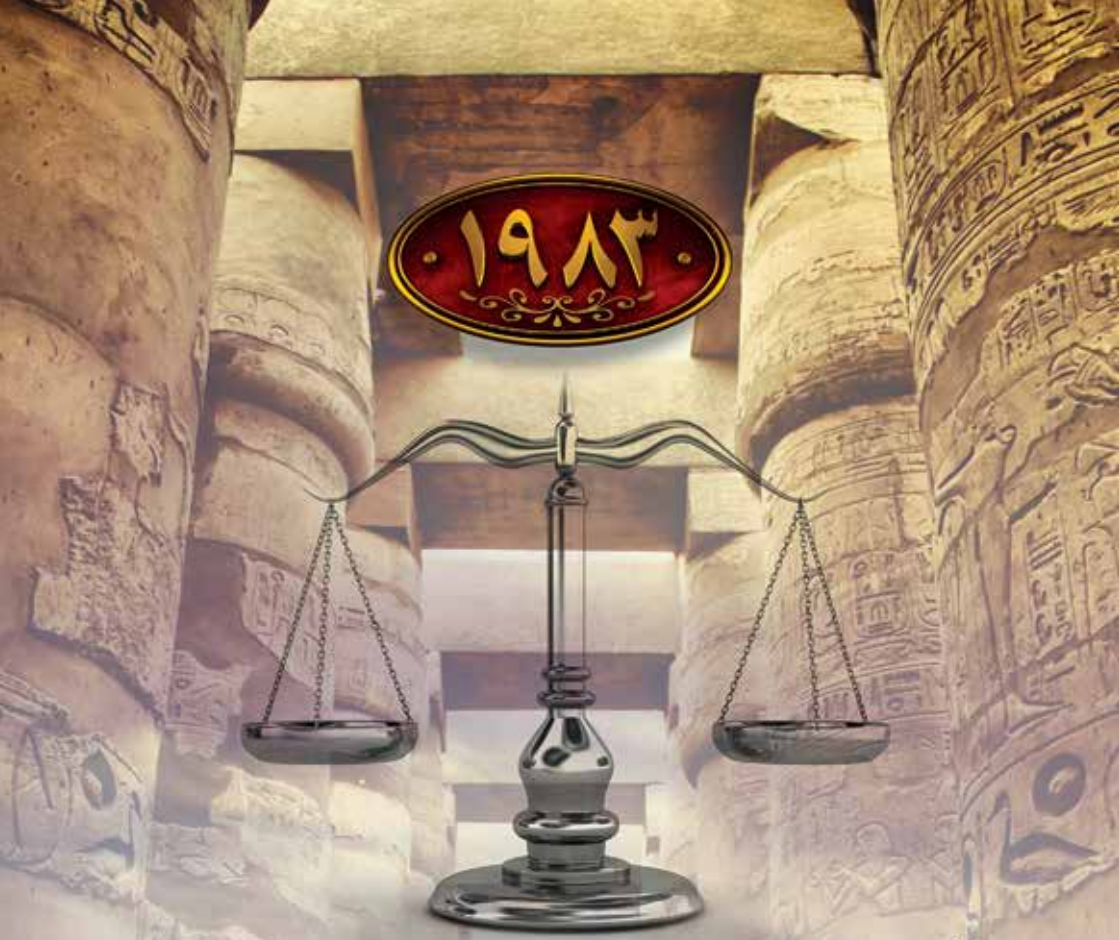

أمام العرش

محفوظ
عندما ينصب نفسه قاضيا

يبدأ محفوظ روايته هذه بعبارة "محكمة" لتعبر وبشكل كبير عن أحداثها، حيث يقيم محكمة ضخمة لكل ملوك ووزراء ورؤساء مصر من عصر الفراعنة، مرورا بالعصور المتعاقبة، وهي محكمة بشرية عقدها محفوظ من وجهة نظره، ولذلك قد لا يجدها البعض منصفة في بعض الأحيان.

تبدأ المحكمة بـ"أوزوريس" على عرشه الذهبي و"إيزيس" عن يمينه، و"حورس" عن يساره، ثم يتعاقب ملوك مصر الفرعونية على المحكمة بدءًا من الملك "مينا" والملك "زوسر" ووزيره "أمنحتب" والملك "خوفو"، ثم الحكيم "بتاح حتب".

ويتوالى الكثيرون ممن حكموا بالقوة والعنف، وممن شيدوا المعابد، ومن الثوار وعلى رأسهم "أبنوم" وهو أول من دعا إلى العصيان، ومنهم من كان سببًا في ضياع الأرض المصرية وهيبتها، ومنهم من خاض الحروب لاستعادتها، ومنهم من كان له حظ كبير مع النساء، ومنهم من زهد في كل شيء ما عدا مجده الشخصي.

١٩٨٣

رحلة ابن فطومة

الحيرة في البحث عن المدينة الفاضلة

هذه الرواية هي إحدى الروائع العالمية للأديب الكبير "نجيب محفوظ" والتي ترجمت إلى الإنجليزية. وتحكي عن رحالة عربي هاجر من بلاده بعد فشله في الزواج من محبوبته بحثا عن الكمال والعدالة المفقودين في بلاده، يشجعه على ذلك أستاذه الذي فشل في إكمال الرحلة بسبب الحرب التي كانت تدور بين البلاد المتجاورة.

والرواية تأتي في شكل مناجاة عميقة، تنقَّل فيها محفوظ بين نظم الحكم المختلفة ناقدًا واقع المجتمعات بصورة بليغة وحس إدراكي عال.

إنها رحلة مغامرة، فقرر أن يتجول في العالم المعروف لديه باحثًا عن المدينة الفاضلة التي يبتغي فيها الكمال.

اختار محفوظ لروايته عنوانا جذابا، وحاول أن يداعب به ابن بطوطة الرحالة، ومع كل المرارة التي تجلت في الكتاب مفشية حيرة نجيب محفوظ وتأملاته الحائرة في الكون، كانت "رحلة ابن فطومة" تحاكي رحلة نجيب محفوظ الفكرية والروحية في هذا العالم، وتعبر عما اعتراه على مدار سنوات عمره من تخبط بين الفلسفات والرؤى السياسية وطريقة الوصول لغاية الإنسان وهي السعادة.

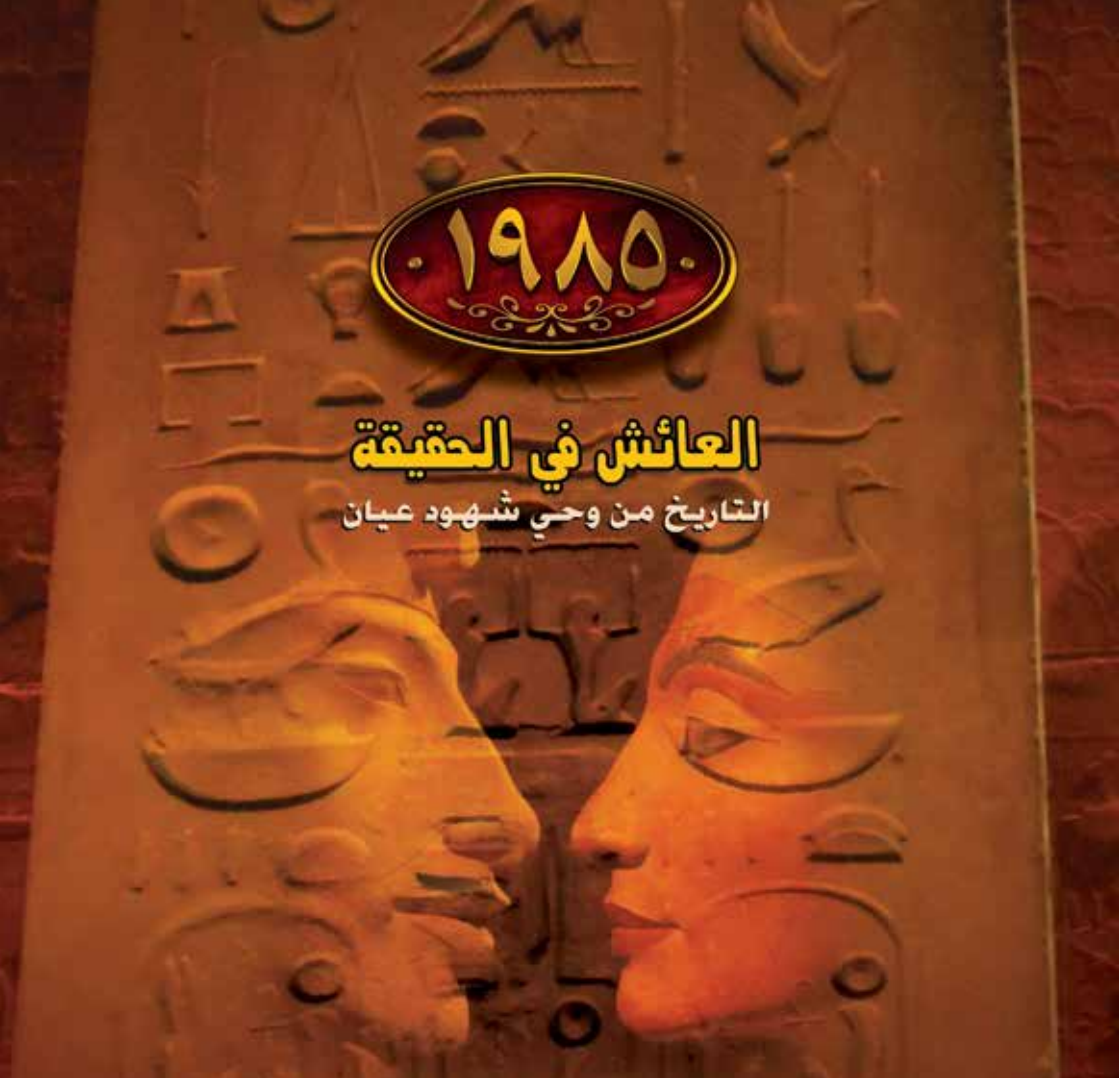

رواية بنكهة مختلفة، يأخذنا فيها محفوظ من جديد إلى مصر الفرعونية التي برع في استخدامها ليعرض أفكاره، فقراءة حدث واحد من أكثر من منظور تبعا للشخصيات، تكشف الدوافع الخفية لكل منها على الرغم من محاولة كل شخصية إخفاء دوافعها خلف أقنعة الحكمة.

طريقة محفوظ في كتابة الرواية أتت بأسلوب جديد وليس مجرد سرد للأحداث من البداية؛ إذ تتناول هذه الرواية فترة إخناتون والدعوة إلى الديانة التوحيدية عن طريق باحث عن الحقيقة يحاول أن ينقل شهادات من عاصروا هذه الفترة وكانوا بجوار العرش. ولقد نجح في نقل الشهادات كما هي حتى إن القارئ قد يصاب بالارتباك ويتساءل: ما حقيقة هذا الملك الغامض؟

والرواية تضع أمامك العديد من الحقائق حول إخناتون ونفرتيتي ورجال الحكم في هذه الفترة، فتمنح الرواية القراء القدرة على تقييم أبطالها كل على حسب أفكاره ورؤيته.

١٩٨٥

يوم قُتل الزعيم

الرمزية وما وراء الحدث

الرواية قد تبدو تقليدية تماما لا جديد فيها على الإطلاق، ولكن عندما تكون الرواية لنجيب محفوظ فيجب التركيز في الرمزية وما وراء الحدث والسرد وعدم النظر له بسطحية، فعلى سبيل المثال، يقول عن شخصية "علوان فواز" وهو يدخل عمله في إحدى شركات القطاع العام: "قرأ على مدخلها بالبنط العريض: ادخلوها بلا أمل"، وهذه الجملة مقتبسة من الكوميديا الإلهية كتاب الجحيم لدانتي "أيها الداخلون اطرحوا عنكم كل أمل"، فلا فرق كبيرا بين العمل في القطاع العام والجحيم. وأيضا في حديثه المتصل عن جمال عبد الناصر والسادات، وفي جملته التي يشير فيها إلى السادات "الزي زي هتلر والفعل شارلي شابلن"، وهكذا لا يخلو سطر في الرواية من أي إيحاء أو مقصد أو ترميز لشيء ما في تلك الفترة عن الانفتاح وما بعد الحرب.

١٩٨٧

حديث الصباح والمساء

قصة الحياة والموت
كما تصورها فلسفة الأحداث

هي رواية كل كائن وإنسان على وجه الأرض، البداية والنهاية نفسها، لا يختلف فيها صبي عن رجل عن امرأة عن فتاة مهما اختلفت وتباينت الأحداث.

وكان من خلال تصويره لهم يصور حياة البشر أجمعين، ويعلنها عالية واضحة لا فرار منها، يعلن أن الحياة كما تبدأ بصرخة وليد تنتهي بشهقة الموت، فهذه القصص جمعت من الأهل والأقارب والآباء والأبناء ما يترجم هذه الفكرة ويجسدها أمام قارئ الرواية، وفي بساطة الفكرة وتكرار أحداثها مع شخصها، كان عمق الفلسفة وإصرارها التي أرادها أديب نوبل، إنها ليست قصة بعض الأشخاص وإنما هي قصة الحياة والموت والفلسفة التي تصدر منها والبلاغة التي تصوغ حبات الأحداث ودرر الكلم في مزيج أخرج كالمعتاد شرابًا جديدًا لن نمل الاستمتاع به رشفة رشفة.

١٩٨٨

محفوظ

وفرص نوبل الضائعة

في عام 1968 قام الدكتور عطية عامر خريج كلية دار العلوم بالقاهرة، وهو أستاذ جامعي مصري يعيش في السويد، ويعمل رئيسا لقسم اللغة العربية بجامعة إستوكهولم، بترشيح الدكتور طه حسين لجائزة نوبل في الآداب، لكن ترشيحه رفض لأسباب سياسية.

وفي عام 1978 تلقى الدكتور عطية رسالة من الأكاديمية السويدية تطالبه بترشيح أديب عربي للجائزة، وطالب عامر بدوره السفارة المصرية بتدبير مؤلفات نجيب محفوظ لتقديمها مع ترشيحه لنيل الجائزة، إلا أن القيادة السياسية آنذاك قامت بترشيح توفيق الحكيم الذي رفضته لجنة الجائزة لأن من تقاليد الأكاديمية عدم قبول ترشيحات الحكومات.

ثم قامت مصر بترشيح عبد الرحمن الشرقاوي في المرة الثالثة، ورفضت اللجنة الترشيح للسبب نفسه، وضاعت الجائزة على نجيب محفوظ.

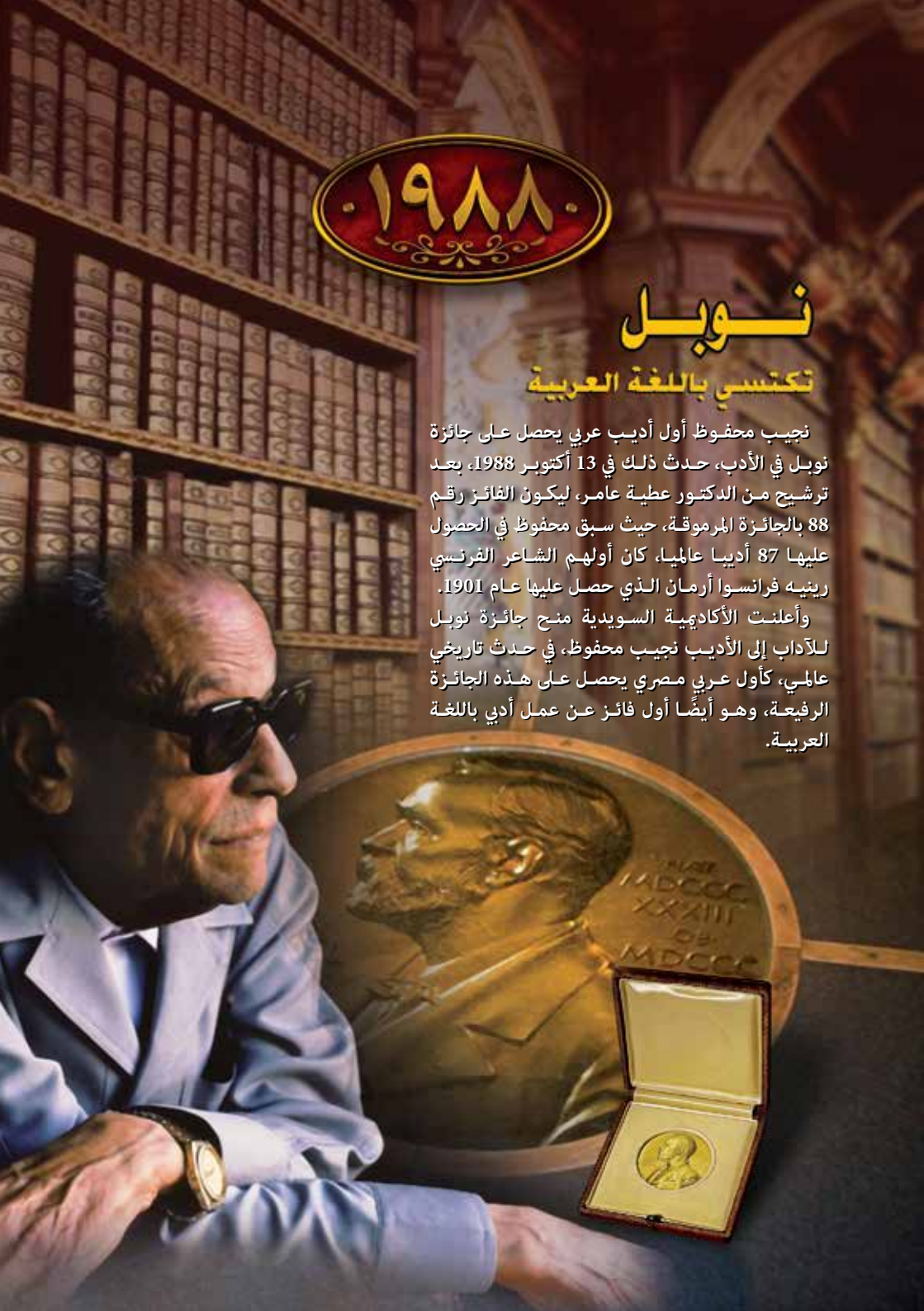

١٩٨٨

نوبل

تكتسي باللغة العربية

نجيب محفوظ أول أديب عربي يحصل على جائزة نوبل في الأدب، حدث ذلك في 13 أكتوبر 1988، بعد ترشيح من الدكتور عطية عامر، ليكون الفائز رقم 88 بالجائزة المرموقة، حيث سبق محفوظ في الحصول عليها 87 أديبا عالميا، كان أولهم الشاعر الفرنسي رينيه فرانسوا أرمان الذي حصل عليها عام 1901.

وأعلنت الأكاديمية السويدية منح جائزة نوبل للآداب إلى الأديب نجيب محفوظ، في حدث تاريخي عالمي، كأول عربي مصري يحصل على هذه الجائزة الرفيعة، وهو أيضًا أول فائز عن عمل أدبي باللغة العربية.

١٩٨٨

قشتمر

مثال رائع للزمن الروائي النمطي

تُعدّ "قشتمر" لنجيب محفوظ نموذجًا جيدًا لرواية التسلسل الزمني، فهو تسلسلي على المستوى البيولوجي للشخوص؛ إذ يتتبع خمسة منهم من الولادة حتى الشيخوخة، ملما بما جرى لهم، وبما شهدوه من حوادث. وتسلسلي على المستوى الثقافي والعقلي، فقد بدأ معهم من الروضة إلى البستان فالابتدائية الحسينية، ومضى متدرجا إلى أن تخرج بعضهم في كلية الحقوق، أو أخفق في التخرج في كلية الطب، أو انقطع عن الدراسة مفضلًا عليها الأعمال الحرة. وتسلسلي على المستوى التاريخي، فقد بدأت قبل الحرب العالمية الأولى، وتتبعت حياة هؤلاء الشخوص بما رافقها من ارتدادات على المستوى العام، كالثورة سنة 1919 وحركة سعد زغلول ومن انضم إلى حزب، والحياة الحزبية بما كانت تعج به من حركات، ووفاة سعد، وصعود نجم مصطفى النحاس، والصراعات التي امتدت طويلًا بين الوفد والقصر في عابدين، فقيام الحرب العالمية الثانية وما تخللها من ارتدادات على الوضع الاجتماعي، والاقتصادي في مصر.

١٩٩٥

نجاة محفوظ

من محاولة الاغتيال

كان لابد بعد الجدل الكثير الذي أثارته روايات نجيب محفوظ، خاصة رواية أولاد حارتنا، التي أوصى الأزهر بمنع نشرها في مصر، من أن يتعرض محفوظ لموجات نقد عنيفة، لكن لم يتصور أحد أن يصل الأمر إلى حد محاولة الاغتيال، لكن هذا هو ما حدث بالفعل في عام 1995.

طُعن نجيب محفوظ في عنقه على يد شابين قررا اغتياله لاتهامه بالكفر والخروج عن الملة بسبب روايته المثيرة للجدل.

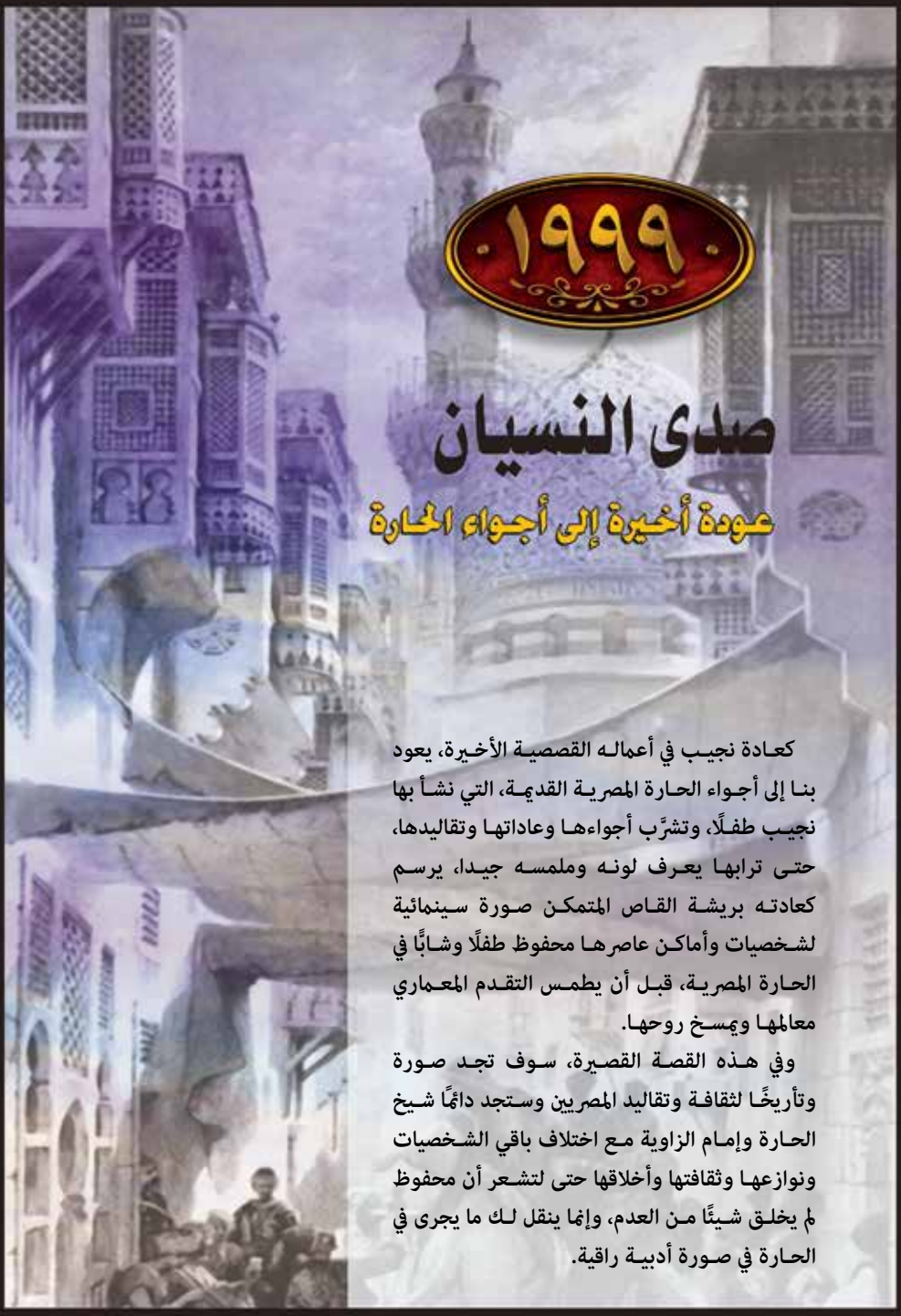

١٩٩٩

صدى النسيان

عودة أخيرة إلى أجواء الحارة

كعادة نجيب في أعماله القصصية الأخيرة، يعود بنا إلى أجواء الحارة المصرية القديمة، التي نشأ بها نجيب طفلًا، وتشرَّب أجواءها وعاداتها وتقاليدها، حتى ترابها يعرف لونه وملمسه جيدا، يرسم كعادته بريشة القاص المتمكن صورة سينمائية لشخصيات وأماكن عاصرها محفوظ طفلًا وشابًا في الحارة المصرية، قبل أن يطمس التقدم المعماري معالمها ويمسخ روحها.

وفي هذه القصة القصيرة، سوف تجد صورة وتأريخًا لثقافة وتقاليد المصريين وستجد دائمًا شيخ الحارة وإمام الزاوية مع اختلاف باقي الشخصيات ونوازعها وثقافتها وأخلاقها حتى لتشعر أن محفوظ لم يخلق شيئًا من العدم، وإنما ينقل لك ما يجرى في الحارة في صورة أدبية راقية.

٢٠٠٤

أحلام فترة النقاهة

إبداع حتى النفس الأخير

مع بداية الألفية الجديدة كان نجيب محفوظ قد وصل إلى مرحلة عمرية متقدمة، لكنه على الرغم من ذلك لم يتوقف عن الإبداع، ففي عام 2004 صدرت له "أحلام فترة النقاهة"، التي كتبها آخر حياته في شكل أشبه باللوحات التجريدية، التي تحرر فيها محفوظ من المنطق (لأنها أحلام)، حيث جاء التركيز منصبا على الرمزية، وعلى الفكرة.

230 حلمًا 230 قصة عبقرية في دلالاتها وبساطتها المصحوبة بإحساس عميق، وفكر تذهب فيه النفوس كل مذهب، خاصة أن الطريقة التي كتبت بها القصص لتبدو كالأحلام جاءت مذهلة، حيث تبدأ القصة وتنتهي دون أن تعلم غير التفاصيل التي ذكرها الكاتب، والتي لا تكون مهمة كأهمية محتواها.

٢٠٠٦

النهاية

رحلة إبداعية

تلخص تطور فن الرواية العربية

بعد معاناة طويلة مع المرض رحل نجيب محفوظ عن عمر يناهز 95 عاما، حيث توفي محفوظ في مستشفى الشرطة بحي العجوزة في العاصمة المصرية القاهرة.

وكان نجيب محفوظ قد دخل المستشفى بسبب إصابته في الرأس إثر سقوطه على الأرض من فوق السرير، بالإضافة إلى قصور في الكليتين وصعوبة في التنفس، إلى جانب ارتفاع نسبة الأحماض في دمه، وبعد ذلك أدخل العناية المركزة لإصابته بمشاكل في الرئة والكليتين.

رحل نجيب محفوظ مخلفًا وراءه رحلة طويلة نسج خلالها العديد من الأعمال الإبداعية التي تلخِّص تطور فن الرواية العربية في مراحلها التاريخية والواقعية والرمزية والملحمية، حيث اختصر الجهد والوقت على "أجيال من المبدعين العرب".